

والثمرات الجليلة، وهي التصديق بأخباره والانتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله؛ لِيُعَبَدَ اللَّهُ بها على بصيرة.

الواجب على المسلم في تفسير القرآن

الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يُشِعَرَ نفسه حين يُفسر القرآن بأنه مُترجم عن الله تعالى، شاهد عليه بما أراد من كلامه فيكون مُعظماً لهذه الشهادة خائفاً من أن يقول على الله بلا علم، فيقع فيما حرم الله، فيُخزى بذلك يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

المرجع في تفسير القرآن

يرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي:

أ - كلام الله تعالى، فيفسر القرآن بالقرآن، لأن الله تعالى هو الذي أنزله، وهو أعلم بما أراد به.

ولذلك أمثلة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]، فقد فسر أولياء الله بقوله في

الآية التي تليها: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ [الطارق: ٢]، فقد فسر الطارق بقوله في الآية الثانية: ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ [الطارق: ٣].

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: ٣٠]، فقد فسر دحاها بقوله في الآيتين بعدها: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات: ٣١، ٣٢].

ب - كلام رسول الله ﷺ، فيفسر القرآن بالسنة، لأن رسول الله ﷺ مبلّغ عن الله تعالى، فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى بكلامه.

ولذلك أمثلة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، فقد فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، فيما

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم صريحاً من حديث أبي موسى^(١)، وأبي بن كعب^(٢). ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عجرة^(٣).

وفي «صحيح مسلم»^(٤) عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٤٥)، حديث رقم (١٠٣٤١)؛ وأخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، المجلد الثاني (٣/٤٥٨ - ٤٥٩)، حديث رقم (٧٨٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٦٩)، حديث رقم (١٧٦٣٣)؛ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، المجلد الثاني (٣/٤٥٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٦٨)، حديث رقم (١٧٦٣١)؛ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، المجلد الثاني (٣/٤٥٦ - ٤٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (ص٧٠٩)، كتاب الإيمان، باب ٨٠: إثبات رؤية المؤمنين =

في حديث قال فيه: «فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»، ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] فقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي. رواه مسلم^(١)، وغيره من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ج - كلام الصحابة رضي الله عنهم لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير، لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم، ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق، وأسلمهم من الأهواء، وأطهرهم من المخالفة التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب.

ولذلك أمثلة كثيرة جداً منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، فقد صحَّ عن

= في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، حديث رقم ٤٤٩ [٢٩٧] ١٨١، ٤٥٠ [٢٩٨] ١٨١.

(١) أخرجه مسلم (ص ١٠٢٠)، كتاب الإمارة، باب ٥٢: فضل الرمي والحث عليه...، حديث رقم ٤٩٤٦ [١٦٧] ١٩١٧؛ والترمذي (ص ١٩٦٣)، كتاب تفسير القرآن، باب ٨: ومن سورة الأنفال، حديث رقم (٣٠٨٣)؛ وفي سند الترمذي مبهم؛ وأخرجه أبو داود (ص ١٤٠٩)، كتاب الجهاد، باب ٢٣: في الرمي، حديث رقم (٢٥١٤)؛ وابن ماجه (ص ٢٦٤٧)، كتاب الجهاد، باب ١٩: الرمي في سبيل الله، حديث رقم (٢٨١٣)؛ وأخرجه غيرهم أيضاً.

ابن عباس رضي الله عنهما: أنه فسر الملامسة بالجماع^(١).

د - كلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة، وأسلم من الأهواء ممن بعدهم. ولم تكن اللغة العربية تغيّرت كثيراً في عصرهم، فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): إذا أجمعوا - يعني التابعين - على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السُّنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.

وقال أيضاً: من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه، ثم قال: فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً.

هـ - ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١/١٣٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/١٩٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/٣٤٥) بتصرف؛ وانظر: شرح فضيلة الشيخ المؤلف لمقدمة التفسير (ص ٦٨) وما بعدها.

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ [الزخرف: ٣]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

فإن اختلف المعنى الشرعي واللغوي، أخذ بما يقتضيه الشرعي، لأن القرآن نزل لبيان الشرع، لا لبيان اللغة، إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به.

مثال ما اختلف فيه المعنيان، وقُدِّم الشرعي: قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، فالصلاة في اللغة الدعاء، وفي الشرع هنا الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة فيُقَدِّم المعنى الشرعي، لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب، وأما منع الدعاء لهم على وجه الإطلاق فمن دليل آخر.

ومثال ما اختلف فيه المعنيان، وقُدِّم فيه اللغوي بالدليل: قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فالمراد بالصلاة هنا الدعاء، وبالدليل ما رواه مسلم^(١) عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم، صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى».

وأمثلة ما اتفق فيه المعنيان الشرعي واللغوي كثيرة: كالسماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان.

(١) أخرجه البخاري (ص ٣٤٢)، كتاب المغازي، باب ٣٦: غزوة الحديبية، حديث رقم (٤١٦٦)؛ ومسلم (ص ٨٤٩)، كتاب الزكاة، باب ٥٤: الدعاء لمن أتى بصدقة، حديث رقم (٢٤٩٢) [١٧٦] ١٠٧٨.

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: اختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية، مثاله قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] قال ابن عباس: «قضى: أمر»^(١)، وقال مجاهد: «وَصَّى»^(٢)، وقال الربيع بن أنس: «أوجب»^(٣)، وهذه التفسيرات معناها واحد، أو متقارب فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية.

القسم الثاني: اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل، لما تعنيه الآية أو التنويع، مثاله قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، قال ابن مسعود: «هو رجل من بني إسرائيل»^(٤)، وعن ابن عباس أنه: «رجل من أهل اليمن»^(٥)، وقيل: «رجل من أهل البلقاء»^(٦).

(١) «الدر المثور» (٢٨٨/٩)؛ والقرطبي (٢٣٧/١٠).

(٢) ابن جرير (٦٢/١٥)؛ وابن كثير (٦٤/٥).

(٣) «تفسير البغوي» (١٢٦/٣).

(٤) «الدر المثور» (٦٠٨/٣)؛ وابن كثير (٣٢٣/٢)؛ والطبري (٢٥٣/١٣).

(٥) «الدر المثور» (٦٠٩/٣)، وابن أبي حاتم (٢٧٩/٦).

(٦) هذا من قول كعب، ذكره ابن كثير (٣٢٣/٢)؛ والطبراني (٢٦٢/١٣).

والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها، لأنها تحتملها من غير تضاد، ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَكَمَا دِهَاقًا﴾ [النبا: ٣٤] قال ابن عباس: «دهاقاً مملوءة»^(١)، وقال مجاهد: «متتابعة»^(٢)، وقال عكرمة: «صافية»^(٣).

ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها فتحمل عليها جميعاً ويكون كل قول لنوع من المعنى.

القسم الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معاً للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] قال ابن عباس: غير باغ في الميتة ولا عادي في أكله^(٤)، وقيل: (غير خارج على الإمام ولا عاصٍ بسفره)^(٥)، والأرجح الأول، لأنه لا دليل في الآية على الثاني، ولأن المقصود بحل ما ذكر دفع الضرورة،

(١) الدرر المشور، (٢٠٧/١٥)؛ وابن أبي حاتم (٣٦١/١٢).

(٢) الدرر المشور، (٢٠٩/١٥)؛ وابن كثير (٥٦١/٤).

(٣) ابن كثير، (٥٦١/٤).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، (٤٢٩/١)؛ وابن كثير (٢٥٦/١).

(٥) تفسير ابن كثير، (٢٥٦/١)؛ والطبري (٣٢٥/٣).

وهي واقعة في حال الخروج على الإمام، وفي حال السفر المحرم وغير ذلك.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَأِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَكَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الذي بيده عقدة النكاح: هو الزوج، وقال ابن عباس: هو الولي، والراجح الأول للدلالة المعنى عليه، ولأنه قد روي فيه حديث عن النبي ﷺ.

ترجمة القرآن

الترجمة لغة: تطلق على معانٍ ترجع إلى البيان والإيضاح.

وفي الاصطلاح: التعبير عن الكلام بلغة أخرى.

وترجمة القرآن: التعبير عن معناه بلغة أخرى.

والترجمة نوعان:

أحدهما: ترجمة حرفية، وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بإزائها.

الثاني: ترجمة معنوية، أو تفسيرية، وذلك بأن يعبر عن معنى الكلام بلغة أخرى من غير مراعاة المفردات والترتيب.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

فالترجمة الحرفية: أن يترجم كلمات هذه الآية كلمة كلمة فيترجم (إننا) ثم (جعلناه) ثم (قرآناً) ثم (عربياً) وهكذا.

والترجمة المعنوية: أن يترجم معنى الآية كلها بقطع النظر عن معنى كل كلمة وترتيبها، وهي قريبة من معنى التفسير الإجمالي.

حكم ترجمة القرآن:

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم، وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحققها معها وهي:

أ - وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بإزاء حروف اللغة المترجم منها.

ب - وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها.

ج - تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات وقال بعض العلماء: إن الترجمة الحرفية يمكن تحققها في بعض آية، أو نحوها، ولكنها وإن أمكن تحققها في نحو ذلك - محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله، ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن العربي المبين، ولا ضرورة تدعو إليها؛ للاستغناء عنها بالترجمة المعنوية.

وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنت حساً في بعض الكلمات فهي ممنوعة شرعاً، اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة من يخاطبه ليفهمها، من غير أن يترجم التركيب كله فلا بأس. وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل لأنه لا

محدور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية؛ لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. لكن يشترط لجواز ذلك شروط:

الأول: أن لا تجعل بدلاً عن القرآن بحيث يستغنى بها عنه، وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة؛ لتكون كالتفسير له.

الثاني: أن يكون المترجمُ عالماً بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها، وما تقتضيه حسب السياق.

الثالث: أن يكون عالماً بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن. ولا تُقبَلُ الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها، بحيث يكون مسلماً مستقيماً في دينه.



المشتهرون بالتفسير من الصحابة

اشتهر بالتفسير جماعة من الصحابة، ذكر السيوطي منهم: الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم، إلا أن الرواية عن الثلاثة الأولين لم تكن كثيرة؛ لانشغالهم بالخلافة، وقلة الحاجة إلى النقل في ذلك لكثرة العالمين بالتفسير.

ومن المشتهرين بالتفسير من الصحابة أيضاً: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، فلتترجم لحياة علي بن أبي طالب مع هذين رضي الله عنهم.

١ - علي بن أبي طالب:

هو ابن عم الرسول ﷺ، وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنه وعنهما، وأول من آمن به من قرابته، اشتهر بهذا الاسم. وكنيته أبو الحسن، وأبو تراب.

ولد قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنين، وتربى في حجر النبي ﷺ، وشهد معه المشاهد كلها، وكان صاحب اللواء في معظمها، ولم يتخلف إلا في غزوة تبوك، خلفه النبي ﷺ في أهله، وقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»^(١)، نقل له من المناقب والفضائل ما

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك. حديث رقم =

لم ينقل لغيره، وهلك به طائفتان: النواصب الذين نصبوا له العداوة، وحاولوا إخفاء مناقبه، والروافض الذين بالغوا فيما زعموه من حبه، وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه، بل هي عند التأمل من المثالب.

اشتهر رضي الله عنه بالشجاعة والذكاء مع العلم والذكاء حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن^(١)، ومن أمثلة النحويين: «قضية ولا أبا حسن لها»^(٢)، وروي عن علي أنه كان يقول: «سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار»^(٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به»^(٤)، وروى عنه أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب. كان أحد أهل الشورى الذين رشحهم عمر رضي الله عنه لتعيين الخليفة، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف فأبى إلا بشروط لم يقبل بعضها، ثم بايع عثمان فبايعه علي والناس، ثم بويع بالخلافة بعد عثمان حتى

= (٤٤١٦)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب. حديث رقم (٦٢١٨).

(١) «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» (٣/٣٩)؛ وتهذيب الكمال (٤٨٥/٢٠).

(٢) ذكره سيبويه في كتابه (١/٣٥٥)؛ وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/٢٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/٢٤١ - ٢٤٢)؛ وابن حجر في «الفتح» (٨/٥٩٩).

(٤) «الإصابة» (٢/٥٠٢)؛ وتهذيب الكمال (٤٨٦/٢٠).

قتل شهيداً في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان، سنة أربعين من الهجرة رضي الله عنه.

٢ - عبد الله بن مسعود:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، وأمه أمُّ عَبْدِ كَانَ ينسب إليها أحياناً^(١)، وكان من السابقين الأولين في الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرأ، وما بعدها من المشاهد.

تلقى من النبي ﷺ بضعا وسبعين سورة من القرآن، وقال له النبي ﷺ في أول الإسلام: «إنك لغلام مُعَلَّم»^(٢)، وقال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عَبْد»^(٣)، وفي «صحيح البخاري»^(٤) أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنني من أعلمهم بكتاب الله، وقال: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه، وكان ممن خَدَم النبي ﷺ فكان صاحبُ نعليه وطهوره ووساده حتى قال أبو موسى الأشعري: قدمت أنا وأخي

(١) وذلك لأن أباه مات في الجاهلية، وأدركت أمه الإسلام فأسلمت.

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٩/١، ٤٦٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (ص ٤٣٣ - ٤٣٤)، كتاب فضائل القرآن، باب ٨: القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، حديث رقم (٥٠٠٠).

من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ^(١)، ومن أجل ملازمته النبي ﷺ تأثر به وبهديه، حتى قال فيه حذيفة: ما أعرف أحداً أقرب هدياً وسمتاً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد^(٢).

بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة؛ ليعلمهم أمور دينهم، وبعث عماراً أميراً وقال: إنهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ، فاقتدوا بهما، ثم أمره عثمان على الكوفة، ثم عزله، وأمره بالرجوع إلى المدينة، فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وسبعين سنة.

٣ - عبد الله بن عباس:

هو ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين لازم النبي ﷺ لأنه ابن عمه، وخالته ميمونة تحت النبي ﷺ، وضمه النبي ﷺ إلى صدره وقال: «اللهم علمه الحكمة»، وفي رواية: «الكتاب»^(٣)، وقال له حين وضع له وضوءه: «اللهم فقهه»

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها. حديث رقم (٣٧٦٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما. حديث رقم (٢٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة. حديث رقم (٢٧٦٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما. حديث رقم (٣٧٥٦).

في الدين»^(١)، فكان بهذا الدعاء المبارك حَبْرَ الأمة في نشر التفسير والفقهاء، حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والجد في طلبه والصبر على تلقيه وبذله، فنال بذلك مكاناً عالياً حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوه إلى مَجَالِسِهِ ويأخذ بقوله، فقال المهاجرون: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟! فقال لهم: ذاكم فتى الكهول له لسان سؤال وقلب عقول، ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رآه، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضهم، فقال عمر لابن عباس: أكذلك تقول؟ قال: لا، قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك، واستغفره إنه كان تواباً، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لِنِعْمَ تُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ ابن عباس، لو أدرك أسناننا ما عاشه منا أحد»^(٢)، أي ما كان نظيراً له، هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما اكتسب بعده من العلم.

وقال ابن عمر لسائل سأله عن آية: «انطلق إلى ابن عباس

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء. حديث رقم (١٤٣).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/٨٨)؛ و«تفسير الطبري» (١/٩٠).

فأسأله فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ^(١)، وقال عطاء: (ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس فقهاً وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصلوهم كلهم من وادٍ واسع)^(٢).

وقال أبو وائل: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم (أي والي على موسم الحج من عثمان رضي الله عنه) فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول ما رأيت، ولا سمعت كلام رجلٍ مثله، ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت^(٣)، ولأه عثمان على موسم الحج سنة خمس وثلاثين وولاه علي على البصرة فلما قتل مضى إلى الحجاز، فأقام في مكة، ثم خرج منها إلى الطائف فمات فيها سنة ثمانٍ وستين عن إحدى وسبعين سنة.

المشهورون بالتفسير من التابعين

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم:

أ - أهل مكة وهم أتباع ابن عباس كمجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح.

ب - أهل المدينة وهم أتباع أبي بن كعب، كزيد بن أسلم وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي.

(١) الدر المنثور (٢/٩٠)؛ والتفسير الطبري (٣/٢٣٣).

(٢) تاريخ بغداد (١/١٧٥)؛ والإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٤٨).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٩٣٦)؛ وسير أعلام النبلاء (٥/٣٤٦).

ج - أهل الكوفة وهم أتباع ابن مسعود، كقتادة وعلقمة والشعبي .

فلترجم لحياة اثنين من هؤلاء: مجاهد وقتادة .

١ - مجاهد:

هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما، روى ابن إسحاق عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها^(١)، وكان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به^(٢)، واعتمد تفسيره الشافعي والبخاري وكان كثيراً ما ينقل عنه في «صحيحه»، وقال الذهبي في آخر ترجمته: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به^(٣)، توفي في مكة وهو ساجد سنة أربع ومئة، عن ثلاث وثمانين سنة .

٢ - قتادة:

هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ولد أكمه أي أعمى سنة إحدى وستين، وَجَدَّ في طلب العلم، وكان له حافظه قوية حتى قال عن نفسه: ما قلت لمحدث قط أعد لي، وما سمعت

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٢٧٩ - ٢٨٠)؛ والذهبي في «السير» (٤/٤٥٦ - ٤٥٧).

(٢) تفسير الطبري (١/٢٩١)، رقم (١٠٩).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/٤٤٠).

أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي^(١)، وذكره الإمام أحمد فأطنب في ذكره فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه، وقال: قلماً تجد من يتقدمه أما المثل فلعل^(٢)، وقال: هو أحفظ أهل البصرة، لم يسمع شيئاً إلا حفظه^(٣)، وتوفي في واسط سنة سبع عشرة ومئة، عن ست وخمسين سنة.



(١) «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» (١/٣٦٠)؛ و«تهذيب الكمال» (٥١٢/٢٣).

(٢) «الجرح والتعديل» (٧/١٣٤)؛ و«تهذيب التهذيب» (٥٠/٢٧).

(٣) «الجرح والتعديل» (٧/١٣٤)؛ و«تذكرة الحفاظ» (١/٩٣)؛ و«تهذيب الكمال» (٥١٥/٢٣).